الامامة في القرآن

<"xml encoding="UTF-8?>

ورد ذكر الإمامة و الائمّة في موارد متعددة في القرآن الكريم و كلّها ترجع الي ذات المعنى اللغوي، و هو إنّه عندما ينجذب فريق من البشر الى فرد ما يتخذونه مثالاً و نموذجاً و قائداً لهم، فهم يترسمون خطاه و يسيرون في خطّه، بغض النظر عن حقيقته واتجاهه.

قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ 1.

وقال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ 2.

فربّما كانوا صالحين و ربّما كانوا أشراراً ظالمين.

قال تعالى في فرعون و ملئه:﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ 3.

وقال سبحانه:﴿ ... فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ 4.

و ربّما يصبح الكتاب إماماً هادياً كما نري ذلک في قوله تعالى:﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ... ﴾ 5.

وقال تعالى:﴿ ... وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ 6.

و يستفاد من الآيات القرآنية انّ كلّ مجموعة بشرية سواء كانت علي حقّ أو باطل تتبع فرداً و تتخذه قدوة تتمثل سيرته و فكره و رؤاه، فإنّه يعدّ إماماً لها، و ستحشر معه يوم القيامة، فإن كان محسناً قاد قومه الى الجنّة، و ان كان مسيئاً هوي بنفسه و باتباعه الى قرار الجحيم. قال تعالى:﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ 7.

ولقد كان الأنبيا ء وعلي امتداد التاريخ أئمة صالحين، و كان زعماء الكفر و رؤوس الاستكبار أئمة طالحين، و ستستمر هذه الظاهرة الى يوم الدين، مع التأكيد ان إمامة المتقين والصالحين لن تكون نصيب المنحرفين عن التقوي والصلاح و كانوا ظالمين.

قال تعالى:﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ 8.

وتنطوي هذه الآية علي دلالات عديدة؛ منها:

ان احراز مقام الإمامة يتطلّب استعداداً ذاتياً و صفاءً روحياّ عالياّ، إذ لا يمكن أن تكون نصيب كلّ من هب و دبّ. ولم ينلها إبراهيم (عليه السلام) إلّا بعد أن رأي ببصيرته ملكوت السموات و الأرض، و سما الي مرتبة اليقين، و لقد ابتلاه الله بنار النمرود ثم بذبح ابنه إسماعيل و امتحانات اخري اجتازها الخليل بنجاح حتي أصبح أهلاً للأمامة فنصّبه الله لها.

ان الآية تشيرالي ان مقام الإمامة شأن إبراهيم و كانت أسمي من النبوّة لإنّها جاءت متأخرة عن النبوّة بل في شيخوخته.

وماذكرناه يتعلّق بإبراهيم الخليل (عليه السلام) ولا يعني أبداً ان كلّ إمامة هي أسمي من منزلة النبوّة ؛ ذلک انّ لكلّ منهما درجات و مراتب فقد تسمو نبوّة بعض الرسل علي إمامة غيرهم، و من الممكن أن تكون نبوّة سيّدنا محّمد (صلي الله عليه و آله و سلم) أسمي من إمامة ابراهيم الخليل (عليه السلام).

ويستفاد من الآية أيضاً احتمال اجتماع الإمامة مع النبوّة في شخص مرتبطاًبالله بطريق الوحي يتلقي عنه حقائق العالم، و مرتبطاً بالناس و الأئمّة، علي صعيد العمل كقدوة و اسوة.

ان من شروط الإمامة انتقاء المعاصي و الذنوب عن شخص الإمام، و هو ما يصطلح عليه بالعصمة، فمن كان ظالماً لايكون أهلاً للإمامة.

ان سيّدنا إبراهيم نال درجة الإمامة بعد أن كان نبيّاً و كان مبلّغاً للوحي والشريعة و أحكام الله ثم اختاره الله إماماً. ومن هنا نفهم ان مقام الإمامة للناس هي هداية خاصّة تختلف عن هداية الأنبياء.

ان الإمامة عهد الهي يثبت بالنص، و هي ليست من خيارات البشر وآرائهم.

قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ 9.

فالإمامة درجة رفيعة تتطلب صلاحاً و أهلية و قابلية ذاتية. فمن أراد أن يكون إماماً، يتوجب عليه أن يطوي مراحل من الخلوص الروحي و الصفاء النفسي. والآية الكريمة تنطوي علي إشارتين حول هذا الموضوع:

الأوّلى: ان احراز الإمامة يتطلب صبراً عظيما و ثباتاً كبيراً في مواجهة المحن و الإبتلاءات الإلهية، و التحلي بأقصي درجات ضبط النفس و الاستقامة الكاملة في الحياة و في كلّ الظروف.

الثانية: إنّها تتطلب يقيناً عالياً و ايماناً عميقاً تندمج فيه عوالم الشهادة بالغيب فتتفتح البصيرة لتري كما يري البصر الأشياء، وهو ما عبّرت عنه الآية الكريمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ 10.11

---

1. القران الكريم: سورة الأنبياء (21)، الآية: 73، الصفحة: 328.
2. القران الكريم: سورة الفرقان (25)، الآية: 74، الصفحة: 366.
3. القران الكريم: سورة القصص (28)، الآية: 41، الصفحة: 390.
4. القران الكريم: سورة التوبة (9)، الآية: 12، الصفحة: 188.
5. القران الكريم: سورة الأحقاف (46)، الآية: 12، الصفحة: 503.
6. القران الكريم: سورة يس (36)، الآية: 12، الصفحة: 440.
7. القران الكريم: سورة الإسراء (17)، الآية: 71 و 72، الصفحة: 289.
8. القران الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 124، الصفحة: 19.
9. القران الكريم: سورة السجدة (32)، الآية: 24، الصفحة: 417.
10. القران الكريم: سورة الأنعام (6)، الآية: 75، الصفحة: 137.
11. من كتاب دراسة عامة في الامامة